

ألقى فضيلة الشيخ أسامه بن عبد الله خياط - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "تعظيم الأشهر الحرم"، والتي تحدث فيها عن تعظيم بعض الأزمنة والأمكنة في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، كما حثّ على اغتنام الأوقات الفاضلة بالأعمال الصالحة. أحمسه - سبحانه - على ترداد نعمه التي لا تُحصى، وأشهد أن سيدنا ونبيّنا محمداً عبده ورسوله النبيُّ المُجتبى، وعلى آله وصحبه أولي الريادة والزهاده والنهاي. والاتباع لخاتم الأنبياء ورسوله - عليه أفضُّ الصلاة والسلام -، مُبتغين بها الوسيلة في سيرهم إلى ربِّهم، ولقد كان مما كتبه - عزَّ اسمُه -، وافتقرَه على لسان خليله إبراهيم وولده إسماعيل - عليهما السلام -: تحريمُ أشهُرٍ من السنة وتعظيمُها، وتواتر ذلك التحريم حتى نقلته العرب بالتوافر القولي والعملي، وتلك هي الأشهر الأربعُ التي أشار إليها - سبحانه - بقوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتُلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبه: 36]. وبينها رسولُ الْهُدَى - صلواتُ الله وسلامُه عليه - بقوله في خطبة حجَّةِ الوداع: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَمِيتَهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّمَا كَانَ أَشْهُرُ الْحُرُمٌ عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ: ثَلَاثَةُ سَرَدٍ وَوَاحِدٌ فَرِدٌ - كما قال الحافظ ابنُ كثير - رحمة الله -: "الأجل مناسك الحجّ والعمرة، وحرّم بعده شهر آخر" - وهو المحرّم -؛ ليرجعوا فيه إلى نائي بلادهم آمنين، لأجل زيارة البيتِ والاعتمار به لمن يقدُّم إليه من أقصى جزيرة العرب، اهـ كلامه - رحمة الله - . فوقع حجُّه - صلى الله عليه وسلم - في تلك السنة في ذي الحجَّةِ الذي هو شهرُ الأصلِي؛ ذلك أنَّهم - كما قال أهلُ العلم بالحديث، ثم يعودُ العددُ على الأصلِ، فكانوا يخالفون بين أشهُرِ السنة بالتحليل والتحريم، مُضافٌ إلى أصلِ كُفرهم بالله بالشركِ به، فتشريعُ الحلال والحرام والعبادة - يا عباد الله - هو حقٌّ لله وحده؛ فقد نازَعَ الله - عزَّ وجلَّ - في حقِّه، كما دلَّ عليه قوله - سبحانه -: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَعُصِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: 21]. ويتوهّمون أنَّهم لم يخرُجُوا به عن ملةِ إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -؛ وهو المقصودُ بالذاتِ مِن شرعه لا مجرّد العدد. وهذا كلهُ مِن ظُلمِ النفسِ في الشهرينِ الحرامِ، وظلمُ النفسِ - يا عباد الله - يشملُ كلَّ محظوظٍ يُويقُ المرءُ فيه نفسه، كما يكونُ بالشركِ بالله تعالى، كما قال تعالى على لسانِ لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]. والاجتهدات والاستحسانات التي لا يُسندُها دليلٌ صحيحٌ من كتاب ربِّنا أو سُنة نبيِّنا - صلى الله عليه وسلم -. المُحسن إلى عباده بالنعم من نعم الخاصة والعامَة، المُتحبب إلىهم بالآلاء - وهو الغنيُّ عنهم -، وبين امتهانِ وانتهاكِ حرمة الله، ك الإمام الشافعي - رحمة الله - وغيره. قال ابنُ عباسِ - رضي الله عنهما -: "إِنَّ اللَّهَ اخْتَصَّ مِنَ الْأَشْهُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا، وَبَاتَبَاعَ سُنَّةَ الْحَبِيبِ الْهَادِيِّ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، وَحَذَارٌ مِنَ الابْتِدَاعِ فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ . وَبِسْنَةِ رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم -، أَحْمَدُهُ - سبحانه - عَلَى عَمِيمِ الْخَيْرِ وَالنِّعَمَةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمَبْعُوثُ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ، حَرِيٌّ بِمَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبِّا، وَبِمُحَمَّدِ رَسُولِهِ أَنْ يَحْجُّ نَفْسَهُ عَنِ الْوُلُوغِ فِي الذِّنْوَبِ، وَيَنْتَأِيَ بِهَا عَنِ مَزَاقِ الْخَطَايَا، وَإِلَى أَيِّ مَرْحَلَةٍ يَقْفِيُ بِهِ الْمَسِيرُ. فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادُ اللَّهِ - باسْتِدَارِكِ ما فاتَ، وَفِي كُلِّ شُهُورِ الْعَامِ بِالْإِقْبَالِ عَلَى مَوَادِي الطَّاغِيَةِ، وَالاستِسْمَاكِ بِمَا صَحَّ وَثَبَّتَ عَنْ سَيِّدِ الْأَنَامِ - عليه الصلاة والسلام -، وَأَعْرِضُوا عَنْ كُلِّ مُبْتَدَعٍ لَا أَصْلَ لَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم -. قال الحافظ ابن رجب - رحمة الله -: "وَأَمَّا الصِّيَامُ فَلِمْ يَصِحَّ فِي فَضْلِ صَوْمٍ رَجَبٌ بِخُصُوصِهِ شَيْءٌ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -، وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حِرْبَ - رحمة الله - فِي رِسَالَتِهِ "تَبَيَّنُ الْعَجَبُ فِي بَيَانِ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ رَجَبٍ": لَمْ يَرِدْ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَجَبٍ وَلَا فِي صِيَامٍ شَيْءٌ مِنْهُ مُعِينٌ، ثُمَّ أَوْرَدَ - رحمة الله - مَا وَرَدَ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ، وَهِيَ مَا بَيْنَ مَوْضُوعِ مُخْتَلِقٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ الْأَكْثَرُ -، وَبَيْنَ ضَعِيفٍ لَا يُحْتَجُ بِمِثْلِهِ. وَعَظِمُوا مَا عَظَمَهُ اللَّهُ بِاتَّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -. والتَّابِعُونَ وَمَنْ تَبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَاجْمَعَ كَلْمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ يَا ربَّ الْعَالَمِينَ. وَسُنَّةُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدَ - صلى الله عليه وسلم -، اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصِمَةُ أُمَّرَانَا، وَصَلِّ اللَّهُ وَسِلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ،